بكائية الليل والظهيرة

(١)

في كل ليل ..
تخلع الذكرى ملابسها المغبَّرة القديمة ،
تستحم برشرشات الضوء ،
تغسل فيه وعثاء الطريق ،
وتسترد نضارة الالوان والمرح القديم .
.. نديانة كالظل ، تخلع خفها المبلول ،
تستلقي جواري في الظلام ، تضيء بشرتها :
برائحة التوغل في الحقول ،
برعشة القمر المؤرجح في مرايا النيل ،
بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ،
بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ،
باللثغة الغناء في الصوت الرخيم .
.. وذراعها يلتف ، يرتعش التوهج تحت لمسته ،
وتقلع آخر السفن المقدسة المضيئة من مرافئها ،
تشق النهر ، تنثر ما تبقى من رمادي :
فوق أذرعة الخريف البائسات .. فتكتسي ،
فوق الشفاه اليابسات .. فترتوي ،
فوق المروج .. فتنطوي في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر .. يهدأ المهر الحرون ،
على مناقير الطيور .. فتطعم الافراخ من توت الغناء الحلو ،
في عقم السماء .. فتنبض البشرى ، وتنعقد الغيوم .

●

يا دقة الساعات
هل فاتنا .. ما فات
ونحن ما زلنا ..
أشباح أمنيات
في مجلس الاموات ؟!

(٢)

فاض النهار بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،
وألقانا على أعتاب مملكة النميمة ، والذباب يطن ،
والكلمات : أقداح مكسرة الحواف اذا لثمناها تجرحت الرؤى ،
والصمت : قضبان محماة على وهج البكاء .
(.. فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب البيت :
« ـ آه ! » وتسقط الشمس الصغيرة عن رداء النوم ،
تبكي المرأة الافعى على كتف العشيق ،
وتستزيد من البكائيات ،
تلقم صدرها العاري يديه ـ لعله يبني بها بعد الحداد ـ
تدير عينيها اللتين تندتا .. فأذابتا بقع الطلاء !!)

●

كان الطريق يدير لحن الموت ـ كان جهنمي الصوت ـ ،
فوق شرائط التسجيل ،
في أسلاك هاتفه المحنك ،
في صرير الباب من صدأ الغواية ،
في أزيز مراوح الصيف الكبيرة .
في هدير محركات الحافلات ،
وفي شجار النسوة السوقي في الشرفات ،
في سأم المصاعد ،
في صدى أجراس اطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كوني اذن ما شئت :
ساقطة تدور على مواخير الموانىء ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أمًّا تأكل الاطفال ،
كوني أي شيء ـ فيه نغمس خبزنا الحجري ـ ملتهب الدماء !)

●

ندم الغبار يلح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا ، لكنها تتفتت !
الجدران وهم ، والرجال الملصقون على مساحة صفحة الاعلان ،
والصور الثمينة في المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لانبل الشهداء ،
والزهو الذي يندس في وحم النساء .
(.. تلك المرارة : سممت جلسات شاي العصر ،
سممت انتعاشتنا بلسع الماء في حمامنا الصيفي ،
سممت البراءة في تساؤل طفلنا .. من أين جاء !!)

●

يا آخر الدقات
قولي لنا من مات
كي نحتسي دمه ..
ونختم السهرات
بلحمه نقتات !!

(٣)

ماذا تخبىء في حقيبتك العريقة أيها الوجه الصفيق ؟
أشهادة الميلاد ؟
أم صك الوفاة ؟
أم التميمة تطرد الاشباح في البيت العتيق ؟
ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟!
ماذا تخبىء أيها الوجه الصفيق ؟!

القاهرة — أمل دنقل